الممارسة السيميائية السردية في النقد الجزائري
قراءة في إسهامي رشيد بن مالك وإبراهيم صحراوي

Narrative in Algerian criticism The practice of Semiotics Reading in some of the works of Rashid bin Malik and Ibrahim Sahraoui

أ.د. خلف الله بن علي
المركز الجامعي تيسمسيلت

ملخص:

سنحاول في هذه الورقة البحثية التنقيب في الدراسات النقدية السيميائية الجزائرية وتلقيها للنص السردي، فقد كان حضور النّقد السّيميائي في بلادنا عبر العديد من النقاد منهم: (عبد الملك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، وعبد القادر فيدوح، وحسين خمري، وأحمد يوسف، والسعيد بوطاجين، ورشيد بن مالك، وقادة عقاق، مولاي علي بوخاتم، الجيلالي حلام، أحمد طالب وغيرهم)، ومن هؤلاء من مارس السّيميائيّة في أعمالهم تنظيرا وتطبيقا، فنجد معظم هذه الدراسات تبدأ بجزءٍ نظري متبوع بقسم تطبيقيّ، حاول فيها أصحابها إثبات فعالية هذه النّظريّة، وقدرتها على تفكيك مختلف النّصوص، في المقابل نجد من اكتفى بالتّأسيس لهذا المنهج عن طريق نقل المعرفة السّيميائيّة بمختلف مدارسها وتوجّهاتها للمدوّنة النّقديّة الجزائريّة نظريا فقط. وسنتناول إسهامي رشيد بن مالك وإبرهيم صحراوي بالقراءة والتقويم.

الكلمات المفتاحية: النقد الجزائري، سيميائية سردية، الأفعال، الحالات والتحويلات، المربع السيميائي.

Abstract:

This research tries to answer a problem that is; How did the semioological Algerian critic receive the narrative text? the Algerian semiological critic has known several names that have adopted semiotics as a method in their studies quoting among them Abdelmalek Mortadh, Abdelhamid Bourayou, Abdelkader Fidouh, Hussein Khomri, Ahmed Youcef, said Boutadjine, Rachid Benmalek, Kada Aggag, Moulay Ali Boukhatem, Djilali Hallam, Ahmed Taleb and others. Most studies of these criticisms begin with a theoretical part followed by another practice in which they tried to prove the efficacy of this theory and its ability to dismantle the various texts. On the other hand, there are other critics who are content to remain at the level of the theory by transferring all the knowledge concerning semiology to the Algerian corpus of criticism. In addition, the contribution of Rachid Benmalek and Brahim Sahraoui will be addressed through reading and evaluation .

Key words: Algerian criticism, narrative semiotics, actors, cases and conversions, Semai Square.

تمهيد:

تعتبر الثّمانينيّات من القرن الماضي البوابة التّاريخيّة لظهور البحوث السّيميائيّة في الوطن العربيّ، أما البوابة الجغرافية فهي المغرب العربي، وذلك من خلال مجموعة من الأقلام النّقديّة الّتي كانت مساهماتها معتبرة —في هذا المجال– كماً وكيفاً. وتجدر الإشارة –هنا– إلى أبحاث كل من (محمّد مفتاح) [1] . و(عبد الفتّاح كيليطو) [2] و(محمّد الماكري) [3] و(سعيد بن گراد) [4] و(أنور المرتجي) [5] و(حنون مبارك) [6] و(محمد السرغيني) [7] من المغرب، إضافة إلى ثلة من الباحثين من دول عربية أخرى ممن اهتموا بهذا المنهج نذكر منهم (عبد الله الغذامي) من السعودية، و(قاسم المقداد) من سوريا وغيرهم الكثير، أما في بلادنا فقد كان حضور النّقد السّيميائي عبر ثلّة من نقّادنا نذكر منهم: (عبد الملك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، وعبد القادر فيدوح، وحسين خمري، وأحمد يوسف، والسعيد بوطاجين، ورشيد بن مالك، وقادة عقاق، مولاي علي بوخاتم، الجيلالي حلام، أحمد طالب وغيرهم)، ومن هؤلاء من مارس السّيميائيّة في أعمالهم تنظيرا وتطبيقا، فنجد معظم هذه الدراسات تبدأ بجزءٍ نظري متبوع بقسم تطبيقيّ، حاول فيها أصحابها إثبات فعالية هذه النّظريّة، وقدرتها على تفكيك مختلف النّصوص [8]، في المقابل نجد من اكتفى بالتّأسيس لهذا المنهج عن طريق نقل المعرفة السّيميائيّة بمختلف مدارسها وتوجّهاتها للمدوّنة النّقديّة الجزائريّة نظريا فقط. وسنتناول بعض المتون النقدية التي اتخذت هذا المنهج أداة في نقد النص السردي بالقراءة والتقويم، خاصة تلك التي زاوجت بين النظرية والتطبيق.

1– المقاربة السيميائية للرواية لدى رشيد بن مالك:

في كتابه (مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة)، والذي قسّمه إلى قسمين، قِسْم نظريّ وآخر تطبيقيّ:

1-1– القسم النّظريّ:

وبعد مقدّمة منهجيّة صرّح فيها أنّه سوف يبحث في هذا القسم عن الأصول اللّسانيّة والشّكلانيّة التي انبنت عليها النّظريّة السّيميائيّة (مدرسة باريس) وخصوصا بعض المصطلحات اللّسانيّة الأساسيّة التي كان لها عميق الأثّر في بناء الصّعيد السّرديّ للنّظريّة السّيميائيّة، ثمّ البحث في التّوجّه الشّكلانيّ الرّوسيّ في الممارسة النّقديّة خاصّة لدى فلاديمير بروب.

ففي الأصول اللّسانيّة: لهذه النّظريّة بحث النّاقد ثلاثة مستويات:

المستوى الأوّل: موقع المسألة الدّلاليّة من البحوث اللّسانيّة، وفي اعتقاده أنّ كتاب (علم الدّلالة البنيويّ) [9]. يُعدّ أوّل بحث في السّيميائيّات اللّسانيّة، وقد طرح غريماس في هذا الكتاب إشكاليّة المعنى، حيث أنّ أيّ حديث حول المعنى في تقدير الظّاهرة اللّسانية؛ إلاّ وينزلق إلى إشكاليّات هي أقرب إلى الفلسفة منها إلى اللّسانيّات، فاهتمامات اللّسانيّين لم تقترب من معالجة المعنى وتفرّعاته اقترابا يفضي إلى التقاطه كموضوع قابل للمعرفة، بل استبعد أحيانا وبقي أحيانا أخرى محصورا في إطار الكلمة والجملة. ولهذا التّوجه أو التّحفظ مبرّراته، ومنطلقاته النّظريّة المبنيّة على استحالة تلمّس وفحص الدّلالة كما هي الحال بالنّسبة للأشياء المجرّدة. وعليه فإنّ هذا التّوجه يطرح إشكالا؛ فهو

يقدّم البديل للكيفيّة التّي ينبغي أن ندرس بها ما نقول ونكتب ونسمع، علما بأنّ المتكلّم لا يتكلّم بالكلمة أو الجملة؛ ولكنه يتكلّم بالحديث، ولئن افترضنا أنّ الدّلالة غير قابلة للمعرفة، فإنّنا نستطيع أن نتكلّم عنها بطريقة دالّة[10].

المستوى الثّاني:

هو مبدأ **المحايثة:** وهذا المبدأ اللّسانيّ السوسيريّ في التّحليل يسعى إلى دراسة التجلّيات الدّلاليّة من داخل النّصّ، ويضرب سوسير لذلّك مثال لعبة الشّطرنج، فمن أراد أن يتعلّمها لا يحتاج إلى دراسة تاريخها. في نفس الخط سار لويس هيلمسليف (***Louis Hjelmslev***) ، مؤكّدا على ضرورة استبعاد الوقائع غير اللّسانيّة في عمليّة الوصف والنّظر إلى موضوع اللّسانيّات باعتبارها شكلا، وفي نظر بن مالك أنّ غريماس بدوره يسير على خطى سابقيه، إلاّ أنّه يتّخذ من ذلك منظورين:

المنظور الأوّل: مقولة التّصديق (***Véridiction***) المفصّلة إلى محوري المحايثة (الكينونة، والتّجلّي (الظّاهر))، تتفرّع محصّلة هذه الثّنائيّة الأساسيّة إلى أربع مقولات تظهر في مربع التّصديق على النّحو التّالي:

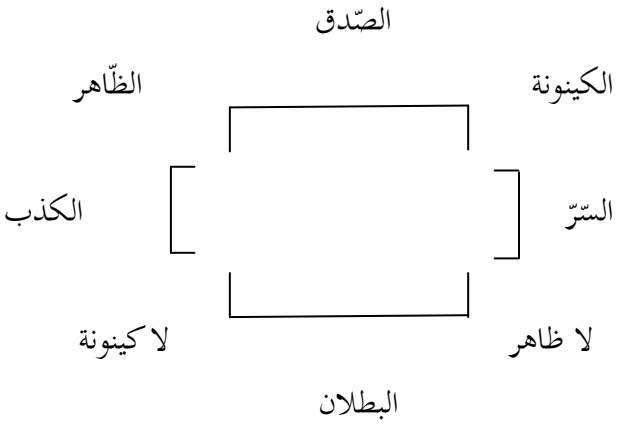

أما المنظور الثّاني: فيؤسّسه على المقابلة: المحايثة/ السّموّ؛ وذلك بغية إبراز تباين مَوْقِعَيْ الفاعل والمرّسل.

المستوى الثّالث: مبدأ الاختلاف: من أهمّ مبادئ (دي سوسير) اللّسانيّة، حيث يرى أنّ المفاهيم المتباينة تكون معرّفة بشكل سلبيّ من علاقتها مع العناصر الأخرى للنّظام. وقد تمثّله غريماس بتصوّر جديد، يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلاليّة استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى، دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين على الأقلّ، تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى، وهذا التّمثيل الّذي اقترحه غريماس يرتكز بدوره على فرضيّة (هيلمسليف) والّتي بمقتضاها يمكن فحص ماهية المضمون بالأدوات المنهجيّة المطبّقة على صعيد التّعبير.

ويواصل بن مالك شرحه لهذا المبدأ، حيث يمكن تمثيل نظام العلاقات (التّقابل) في ثلاث قضايا:

أ– **المربّع السّيميائيّ:** الذي يعكس الدّورة الدّلاليّة العاديّة المتموضعة في المستوى العميق على الشّكل الآتي:

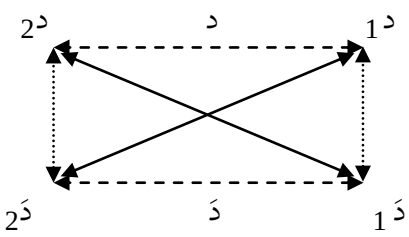

---------- علاقات التّضاد

———— علاقات التّناقض

..... علاقات التّضمين

وينظّم المربّع السّيميائيّ علاقات متنوّعة تتوزّع على النّحو التّالي:

أ- العلاقات المقولاتيّة:

1- علاقة التّناقض: فتقوم العلاقة الأولّى بين (دودَ) على المستوى الأدبيّ من النّاحيّة التّدريجيّة، تقوم علاقة ثنائيّة بين (د1ودَ1) وبين (د 2 ودَ2)، ومن الواضح أنّ عمليّة النّفي (***Opération de négation***) هي التّي تحقّق الانتقال من (د1)، إلى (دَ1)ومن (د2) إلى (دَ2) وتُبّني أساسا على الاختيار بين واحد من العنصرين.

2- علاقات التّضمين: تربط (دَ 1ب د2 ودَ2 ب د 1) وتتولّد بشكل طبيعيّ من عمليّة النّفيّ السّابقة يتضمّن نفي (دَ1) بتشبيت (د2) .

وقيّد غريماس في دراسته لعالم (برنانوس) حركة دلاليّة موجّهة على النّحو التّالي:

حياة (س1) رفض موت (س2)

صدق قبول 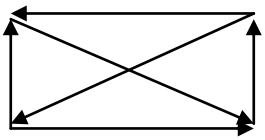 خضوع كذب

لا موت (سَ2) تمرد لا حياة (سَ1)

ومنه: حياة← رفض← لا حياة← خضوع← موت

(س1) (سَ 1) (س 2)

كما تبدو عمليّة ثانية مماثلة تنطلق هذه المرّة من س 2 لتنتج وتثبّت س1 من خلال نفي س 2 معزّزة بذلك مسارا ثانيّا.

موت←تمرّد ← لا موت ←قبول ←حياة

(س2) (سَ 2) (س1)

وحسب ناقدنا، وبتدقيق النّظر في بنيّة هذا النّموذج يُلاحظ أنّ (غريماس) ارتكز تحليله على عناصر ثلاثة من المربّع (س1، سَ1، س2) ارتكازا يوحي لنا بأنّه التقط النّصّ من أبعاده الثّلاثة (وضع أوّلى ←تحوّل ←وضع

نهائي) التقاطا ينسجم وطبيعة النّموذج السّردي ليخلص إلى أنّ السيميائيّة —في استنادها إلى القواعد اللّسانيّة– تسعى إلى بناء الدّلالة من داخل النّصّ، ومن مستويات محدّدة تحكمها مجموعة من العلاقات والعمليّات نذكرها بكل وضوح في الصّعيد العميق.

ب– الملفوظ السّردي: يرى بن مالك أنّ السّيميائيّة وفي تحديدها للملفوظ الأوّلي (***Enoncé élémentaire***) تنطلق من اقتراحات (لوسيان تينيير ***Lucien Tesnière***) حول بنيّة الجملة البسيطة، والّذي لاحظ أنّ الفعل يحتلّ موقعا مركزيّا في الجملة الفعليّة، ويعمل فيها على نحو ما، فالمفرّع (الفعل) يعبر عن المأساة الصّغيرة، وككلّ مأساة؛ فإنّه يحتوي —بالضّرورة–على حدث، وفي أغلب الأحيان على متخاطبين وظروف، وإذا نقلنا الحدث والمتخاطبين والظّروف من صعيد الواقع المأساويّ إلى التّركيب البنيويّ، فإنّنا نحصل على الفعل والعوامل والظّروف، ويعبّر الفعل عن الحدث، أمّا العوامل والظّروف فهي الكائنات والأشياء الّتي تسهم في الحدث بأيّة صفة كانت، وحتّى بوصفها ممثّلا صامتا، ولو بشكل أكثر سلبيّة. وانطلاقا من هذه التّحديدات اللّسانيّة لموقع الفعل في الجملة الفعليّة البسيطة يتمحور الفعل بوصفه علاقة بين العوامل.

واستنادا إلى الشّكل الافتراضي ***Iso morphine typo thétique*** الموجود بين الجملة والخطاب؛ فإنّ الملفوظ الأوّلي —في النّظريّة السيميائيّة– يقوم أساسا على الوظيفة (و) بين العوامل (ع) وإذا أدرجنا العامل/ الفاعل (ف) والموضوع (م) ضمن هذا المنظور ستأخذ العلاقة الوظيفيّة الشّكل التّالي: و (ف، م).

ج– الكفاءة والأداء:

الكفاءة: استنادا إلى التّمييز الدّقيق الّذي وضعه (غريماس) بين معرفة الفعل والفعل، يمكن القول إنّ كلّ سلوك مبرّر يفترض برنامجا سرديّا مضمرا وكفاءة تتضمّن تنفيذه، تعتبر الكفاءة من هذا المنظور (كفاءة جهة يمكن أن توصف كتنظيم متدرّج الجهات، بحيث تنبني هذه الكفاءة على جهات إدارة الفعل:(***Vouloir - faire***)، وجوب الفعل:(***Devoir - faire***)، والقدرة على الفعل:(***Pouvoir -faire***)، ومعرفة الفعل:(***Savoir faire***). حتّى توضع الجهات الّتي تدخل في تشكيلها اقتراح بن مالك هذه الأمثلة:

أ –أوّفر لك طريقة تربح بها أكثر.

ب– أريد أن أوّفر لك طريقة تربح بها أكثر.

ج– أستطيع أن أوّفر لك طريقة تربح بها أكثر.

د– يجب أن أوّفر لك طريقة تربح بها أكثر.

فهذه الملفوظات تحتوي على فاعل (أنا) وأداء (الفعل أوفر) مشتركين، وتختلف دلالتهما من ملفوظ لآخر اختلافا يقوم على طبيعة العلاقات الّتي تربط الفاعل بفعله، فتأخذ الفعل (أوفر) في أ/ب/ج/د أشكالا مختلفة مبنيّة على الجهة الّتي تتحكّم في الفعل على مستوى كفاءة الفاعل، يكون خاضعا تارة لتوجيه الإرادة (ب) وتارة لجهة القدرة (ج) وأحيانا مسبوقا بجهة الواجب (د)، وتُعدّ هذه السّوابق بمثابة القوّة الموجّهة للفعل، وعليه فإنّ أداء

الفعل مشروط بهذه القوّة الّتي أطلق عليها غريماس موضوع الجهة ***(Objet Modal)*** ففي الأمثلة السّابقة تعتبر الأفعال (أريد/ أستطيع/ يجب) مواضيع جهة؛ بعد امتلاكها ضروريّا لتنفيذ أيّ برنامج، ويتميّز عن مواضيع القيمة في الملفوظ الآتي (أريد أن أوّفر لك طريقة تربح بها أكثر)، يبدو ضمير المتكلّم ممتلكا لموضوع الجهة (الإرادة) المتميّز عن موضوع القيمة المستهدف (الرّبح)، والتمييز بين الموضوعيّن في النّظريّة السّيميائيّة يكتسي أهميّة بالغة، فهو يكشف عن آليات الكفاءة، وأثرها في تحديد المسار الّذي يأخذه فعل الفاعل المقترن بحقل حدثي معيّن، وطبيعتها من حيث إيجابيّتها وسلبيّتها، فهي لا تكون دائما إيجابيّة، قد تكون غير كافيّة أو سلبيّة على نحوّ ما يكون الأداء ناجحا أو فاشلا [11]، وباعتبار الكفاءة تنظيم متدرّج الجهات –وهذه الجهات لا تتموضع في نفس المستوى– افترض النّاقد التّدليل على ذلك بالعلاقة الافتراضيّة الّتي تربط جهة بأخرى على نحوّ ما يظهر في هذا الجدول:

كفاءة		أداء
جهات مضمرة	جهات محيّنة	جهات محقّقة
/إرادة الفعل/	/معرفة الفعل/	/ماهية/
/وجوب الفعل/	/قدرة الفعل/	/فعل/
تأسيس الفاعل	تأهيل الفاعل	تحقيق الفاعل

1- جهات الإضمار: /إرادة الفعل/و/وجوب الفعل/ هذه الجهات الّتي تسهم في تأسيس الفاعل تتأطّر باللّحظة الّتي يدرك فيها الفاعل أنّه /يجب/أو /يريد/ تنفيذ برنامج معطى، وهذه القيم تستمدّ حضورها من وجود مرسل تستند إليه مهمّة تبليغها على نحو ما نلاحظ في الصّيّاغة الإضماريّة الآتية: ف (ف U_1م ج)←(ف$_1$∩م ج) فيتمّ تبليغ مواضيع الجهة وفق إحدى الإمكانيّات:

الأولى: تحقيق التّبليغ الانعكاسيّ: وذلك بإسناد دَوْرَيْ المرسل والفاعل إلى الممثّل الواحد الّذي يأخذ على عاتقه –بعيدا عن أيّ ضغط أو تأثير– تنفيذ برنامج معطى.

الثّانية: التّبليغ المتعدّي: عن قوى فاعلة في كفاءة الفعل.

2- جهات التّحيين: /معرفة الفعل/القدرة على الفعل/: وتعتبر امتدادا طبيعيّا لجهات الإضمار وتحتلّ المكانة البارزة في صلب المسار السّرديّ المسند إلى الفاعل. ويبدو التّحيين (***Actualisation***) مربوط بقيمتين أساسيّتين هما:

معرفة الفعل: وتتمثّل في تراكم الأفعال والتّجارب العديدة الّتي يكتسبها الفاعل اكتسابا يستمدّ من القدرة على توقّع برمجة العمليّات الضّروريّة لتنفيذ برنامج معطى.

والقدرة على الفعل: فهي تكشف عن الطّاقات الّتي يملكها الفاعل وعن استعداده لتنفيذ الأداء.

3- جهة التّحقيق: /الفعل/ في هذا الصّورة يسقط الفاعل عناصر كفاءته على الأداء الأساسيّ المحوّل للحالات، وعنه أيضا تختفي الأطراف المحفّزة له (المرسل)، وتظهر الأطراف المضادّة للفاعل ***(Anti-sujet)*** والمعيقة لرغبته في تنفيذ برامجه، والسّاعيّة إلى زعزعة قواعده الإستراتيجيّة، للعوامل ومواضيع القيمة وتنقّلاتها من طرف إلى آخر، وذلك تبعا لقوّة هذه الظّروف وضعف الطّرف الآخر.

الأداء: ويتفرّع إلى أداءين متمايزين:

الأداء الأوّل: هو ملفوظ سرديّ وصليّ ***(Conjonctif)*** يعكس انتقال الفاعل من وضعيّة فصليّة إلى وضعيّة وصليّة بموضوع القيمة: ف. ت(ف1)← [(ف1∪م)←(ف1∩م)].

الأداء الثّاني: هو ملفوظ سرديّ فصليّ (***Disjonctif***) ويعبر عن انتقال الفاعل من وضعيّة وصلة بالموضوع إلى وضعيّة فصلة عنه: ف. ت (ف1)←[(ف1∩م)←(ف1∪م)].

الأصول الشّكلانيّة للنظريّة السّيميائيّة:

يرى الباحث أنّه لا يمكن رصد الأصول العلميّة للبحث السّيميائيّ بقطع النّظر عن المظهر النّظريّ العام لبحوث الشكلانيّين الرّوس، والّتي ظهرت بين1915 و1930. حيث يَعْتَبِرُ –هؤلاء- النّصّ معطى منفصلا عن موقع القارئ، ومعزولا عن السّيّاق التّاريخيّ الّذي هو جزء منه، وهو –أيضا- مبنيّ كليّةً، ومجموعة مادّته منظمة، وعليه فإنّ هذا التّنظيم لا يحيل على مرجع، فالأدب بوصفه نظام متجانس العناصر، لا يعكس التّعبير المباشر لمشاعر الكاتب، ولا يشكّل –في جميع الحالات- إسقاطا لتجربته السّيكولوجيّة.

ومن هذه التصورات ينطلق (فلاديمير بروب)، والذي يُعدّ الباحث الأكثر تعمّقا في دراسة الحكاية واستخراج بنيتها، ويُعدّ كتابه (مرفولوجيا الحكاية) من الكتب الحاسمة في تطوّر الدّراسة البنيويّة والسّيميائيّة. لقد اكتشف (بروب) أنّ عدد الوظائف الّتي تتحكّم في الحكاية الرّوسيّة هي واحدة وثلاثون (31) وظيفة، وهي تخضع لنظام ثابت مهما تغيّرت الشّخصيّات. وبالرّجوع إلى هذا النّموذج يمكن القول إنّ الحكاية تبرز تمثيلا عامليّا مشروطا بطبيعة العلاقات الّتي تقوم بين الشّخصيّات والوظائف المسندة إليها في صلب القصّة، وقد مثلها (أ.ج. غريماس) في الرّسم العامليّ الموالي:

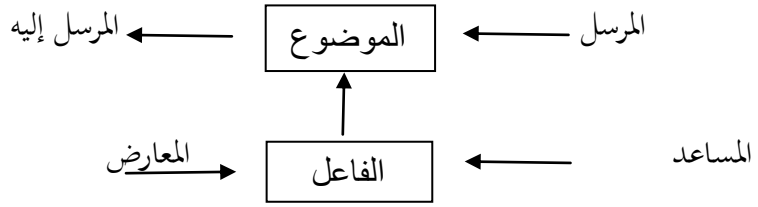

و(بروب) أشار من خلال عرضه للوظائف إلى موضوع الرّغبة، وذلك عند حديثه عن الافتقار (***Le manque***) والانتقال إلى (الهناك)، والّذي يمكّن البطل من إسترجاع الموضوع المفقود، وعلى الرّغم من أهميّة هذا المنظور، فإنّ (بروب) أهمل الشّروط المحقّقة لوجود الموضوع (***Objet***)؛ وذلك أنّ طرح المسألة بهذا الشّكل يحمل

على الاعتقاد بأنّ القيمة تنصهر في الموضوع، غير أنّ العمليّة لا تتمّ بهذه البساطة في اعتقاد (غريماس)؛ إذ يستحيل أن يُفهم الموضوع بقطع النّظر عن القيمة المستثمرة فيه. فعندما يرغب شخص في شراء سيّارة، فهو لا يريد امتلاكها كموضوع، بل كوسيلة سريعة للتنقّل [12]؛ بمعنى لا يمتلك السّيّارة من أجل أن يقال كذلك؛ بل لاستخدامها.

قراءة تقويميّة في الجانب النّظريّ:

بعد هذا العرض النّظريّ العلميّ المتميّز، والّذي كشف من خلاله نّاقدنا عن الأصول اللّسانيّة والشّكلانيّة للنّظريّة السّيميائيّة، والّذي ذهب فيه بالقارئ إلى أهمّ الرّوافد اللّسانيّة لهذه النّظريّة، ونعني بها مسألة الدّلالة ومبدأ المحايثة ومبدأ الاختلاف. كما تعرّض إلى آلية مهمّة من آليات التّحليل السّيميائيّ وهي المربّع السّيميائيّ، إضافة إلى تعرّضه لقضايا أخرى وهي: (الملفوظ السّرديّ والكفاءة والأداء)، ثمّ تحوّل بعد ذلك إلى رصد الأصول الشّكلانيّة للنّظريّة السّيميائيّة خاصّة السّرديّة.

والملاحظ –على هذا الجزء النّظريّ– تلك النّظرة الفلسفيّة العميقة، وتلك الطّريقة الرّياضيّاتيّة الدّقيقة الّتي عالج بها بن مالك الموضوع، وقد غلبت عليها العلميّة والدّقة في التّعاطي مع المادّة المدروسة والمصطلح السّيميائيّ. ولا شكّ أنّ القارئ سيستفيد كثيرا من هذه الرّحلة التّأصيليّة للسّيميائيّة السّرديّة، رغم الاختصار الّذي اعتمده الكاتب أحيانا، ويجب التنويه إلى أن الباحث من أنصار السيميائيات السردية الفرنسية أو (مدرسة باريس)، لذلك نجده في هذا الكتاب وفي غيره من كتاباته السيميائية يعتمد على (غريماس) ومن يشايعه التوجه.

1-2- القسم التّطبيقيّ:

في البدء يجب التّنويه إلى أنّ بن مالك قام بقراءة ثلاث نصوص سردية وهي:

-قراءة سيميائيّة في قصّة (العروس) للروائي غسان كنَفاني.

-تحليل سيميائيّ لقصّة (عائشة) لأحمد رضا حوحو.

-سيميائيّة الفضاء في رواية ريح الجنوب.

وقد اخترنا الموضوع الثّاني لسببين: **أوّلهما**: أنّ النّصّ المقارب جزائريّ **وثانيهما**: أنّ النّاقد قام بمقاربة كل القصّة، ولم يقتصر على جانب منها.

بدأ تحليل هذه القصّة بمقدّمة منهجيّة تطرّق من خلالها إلى مكانة البحوث السّيميائيّة من الدّراسات النّقديّة العربيّة المعاصرة، كما تعرّض للفوضى المصطلحيّة والحلول الممكنة لتجاوزها، ليَخْلُص إلى أنّ ترجمة المصطلح في الخطاب السّيميائيّ المعاصر تتّسم بالاضطراب، الّذي يحُول دون بثّ وتلقي الرّسالة العلميّة، والّذي يؤدّي – وفي جميع الحالات– إلى نسف الأسس الّتي ينبغي أن ينبني عليها التّواصل العلميّ، فالقارئ العاديّ يستنتج – وبسهولة– أنّ وجود علّة عمليّة التّواصل غير قائمة مادامت التّرجمة لا تؤدّي وظيفتها الطّبيعيّة؛ وهي نقل المعرفة

والمفاهيم المستجدّة في الدّوائر العلميّة من اللّغة الأصليّة إلى اللّغة الهدف [13] بوعي علمي كاف، وهي الظاهرة منتشرة لدى كلّ النقّاد العرب.

ولاعتبارات نظريّة، قام ناقدنا بتحديد بعض المفاهيم المصطلحيّة المعتمدة في التّحليل منها: (ملفوظ الحالة ***Sujet d'état***)، (الفاعل)، (الموضوع)، (ملفوظ الحالة الوصلي ***Sujet d'état conjonctif***)، (موضوع القيمة)، (ملفوظ الحالة الفصلي ***Sujet d'état disjonctif***)، وغيرها من مصطلحات السّيمائيّة السّرديّة [14].

لينطلق إثر ذلك في قراءة هذا النّصّ، وذلك بتجزيئه إلى مقطوعات سرديّة، بعد أن يُعرِّف المقطوعة السّرديّة بأنّها وحدة خطابيّة تجري مجرى القصّة القصيرة، وانطلاقا من هذا يرى بن مالك أنّ قصّة عائشة تتشكّل من مقطوعتين أساسيتين؛ تبدأ الأولى من: «عائشة امرأة ككلّ النّساء الجزائريّات» إلى «يعرفن حياة يوميّة متشابهة لا يختلف فيها يوم عن يوم» فيقدّم الناقد كاتب القصّة نفسه بوصفه راويا وملاحظا، يعرض على القارئ طرفين أساسيين، في علاقة تتّسم بطابع جدالي: المرأة/المجتمع، ليفضي هذا الخطاب الموضوعيّ بالقارئ إلى مستوى ثانٍ عبر عمليّة سرد الأحداث وقعت في الماضي، تلمس من خلالها هذه الحقيقة، وعلى هذا الأساس يشتغل الخطاب السّرديّ والخطاب الموضوعيّ على ثنائية (الحاضر/الماضي)، وهذا ما نجده في المقطوعة الثّانية، والّتي تمتدّ من: «هكذا تتتابع أيّام عائشة في قريتها» إلى «ولم يبق من تلك الإحن والمحن إلاّ بصيص ضئيل من الذّكريات المريرة».

تحليل المقطوعة الأولى:

عنونَها بالخطاب الموضوعي: حيث يرى الرّاوي أنّ المرأة في المجتمع الجزائريّ لا قيمة لها، حيث أنّ المجتمع بما يمثّله في القصّة (والد عائشة/ الجار/ فئة الرّجال)–حقّق طائفة من القِيم، وهي إقصاء المرأة وإذلالها، وتشييئها، وفقدها لحقوقها الشّرعيّة، وعلّة ذلك أنّ الحالة موروثة عن والدتها، وعن السّابقات من النّساء منذ عهد قديم، وهي مكانة مؤطّرة زمنيّا (الماضي/ الحاضر/ المستقبل) محكومة بحتميّة تاريخيّة، ستبقى ثابتة لا تتغيّر.

ينتقد –بعد ذلك– الرّاوي/الملاحظ الفاعل الجماعيّ (المجتمع) الّذي يتجسّد سلوكه في طبيعة العلاقات الّتي يقيمها بفعله، ولئن كان هذا الفاعل لا يُعرف، فإنّه يفتقر إلى معرفة الفعل، فهو يفكر في مصدر هذا السّلوك، وفي إفرازاته الخطيرة الّتي تتجانس وطبيعة النّشأة المحافظة الّتي تعمل على منع المرأة من امتلاك المعرفة، وإذا كانت المعرفة هي السّبيل الّذي يضمن لها ممارسة حقّها الطّبيعيّ في القول والفعل، فإنّ العامل الجماعيّ (النّساء الجزائريّات) محكوم بوضعيّة لا يملك فيها القدرة والإرادة، فتتدخّل هذه العناصر في تشكيل كفاءته ملكا للرّجل: « فلا تتحرّك ولا تسكن إلاّ بإرادتهم، ووفقا لرغباتهم».

ومن منظور الرّاوي يتّضح لنا –والكلام للنّاقد– أنّه يخترق مجال الحيّاد، فيفضح مكامن السّقوط في نظام القيم الّذي يحكم فعل الرّجل الممارس على النّساء، ويظهر ذلك في مجموعة من الصور (المظلم/ الضيّق/ المظلم)؛ فتتعالق هذه الصّور لتشكّل مسارا صوريًّا يكشف عن معاناة المرأة في فضائها العائليّ، تتوافق هذه المعاناة مع مسارات أخرى مقترنة بمنعها من امتلاك المعرفة، وعزلها وإذلالها، تنصهر هذه المسارات في تَشَكُّلٍ خطابيّ يعبّر

بوضوح عن النّشأة المحافظة، وعليه نلاحظ أنّ المرأة تحتلّ مكانة قارّة، إنّ الثّابت من القوة ما يجعلها تألفُ هذه الوضعيّة.

أدرك الرّاوي —بعد ذلك– خطورة الوضع، وما تعانيه المرأة من ظلم ومأساة حقيقيّة؛ وصلت إلى درجة يشكّل فيها ذكر المرأة قذارة: «وكثيرا ما سمعت والدها يتحدث مع جاره فيقول: "عبادي حاشاك" يقصد جميع نساء الأسرة، فيعتذر عن ذكر أسمائهن كما يعتذر حينما يتلفظ بلفظ قذر أمام شخص محترم». فيقدّم الرّاوي هذا الملفوظ بوصفه فاعلا/شاهدا على ممارسة احتقاريّة تندرج ضمن برنامج سرديّ يهدف فيه الفاعل المنفّذ (والدها) وبواسطة ضمير الغائب (هم) مشحون بقيمة الازدراء إلى إذلال المرأة وإقصائها من كل مقامات الكلام [15].

تأسيسا على ما سبق، وانطلاقا من المقابلة الأساسيّة الثّابت/المتحوّل، الّتي سخّرها الرّاوي/الملاحظ، لتحديد مكانة المرأة في المجتمع، يمكن تمثيل مختلف القيم الدّلاليّة المقيّدة أثناء التّحليل في المربّع السيميائيّ التّالي:

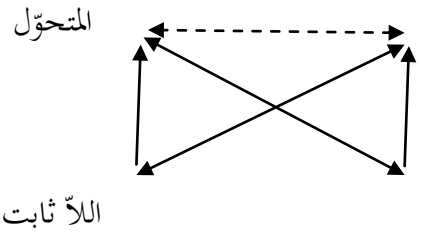

فالمجتمع بوصفه فاعلا جماعيّا؛ يتبنّى برنامجًا ينفي من خلاله (المتحوّل) بإقصائه لنشاط المرأة، فهو يملك على صعيد الجهات/ معرفة الفعل/ ثابتة متمثّلة في هذه القدرة على إعادة إنتاج الأشكال الثّقافيّة القارّة، وعليه فإنّ جميع العناصر الّتي تدخل في تشكيل كفاءته معبّأة لتكريس الثّوابت المتجذّرة في نظام قيم الموروث، ولئن كان الفاعل الجماعيّ يرفض التّحوّل عبر عمليّة النّفي، فإنّه لا يعرف نفسه في التّغيّر الّذي يحمل الجديد، وبالتّالي تتجانس معرفته الثّابتة وتتماهى مع القديم المفرز للقيود المضروبة على عائشة في القرية، وعليه فإنّ الثّابت يولّد طائفة من الممنوعات، تظهر تجلياتها في المكانة الّتي تحتلّها المرأة في المجتمع، ويمكن أن نمثّل مسار الفاعل الجماعي على النّحو التّالي:

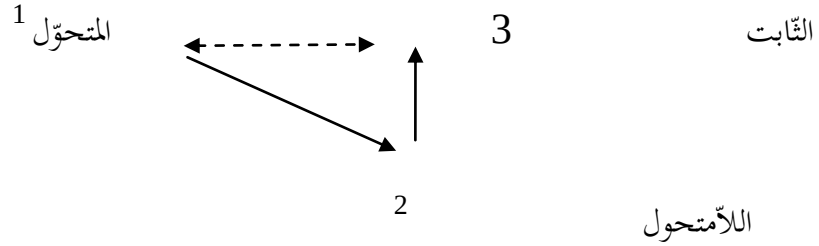

وإذا كان الرّاوي/الملاحظ مقتنعا بأن البيئة الجزائريّة لا تعرف التّطوّر ولا التّغيّر، فإنّه يطمح إلى ترقية المرأة وتحريرها، والاعتراف بإنسانيّتها وحقّها في التّفكير والقول وإرساء قواعد معرفة متحوّلة.

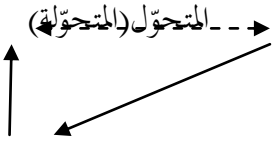

16

تحليل المقطوعة الثانية:

وعنونها بالخطاب السّرديّ: البطلة عائشة كانت في بداية هذه المقطوعة تعيش وضعا هادئا في القرية، راضيّة بالقيود الممارسة عليها، فتأتي قوّة معاكسة (الشّاب العائد من أوروبا)، فيحدث اضطرابا في الوضع، يؤدي إلى هروبها مع الشّاب ثمّ ما يلبث أن يختلّ التّوازن من جديد باغتصابها وفرار الشّاب إلى أوروبا، تضيع عائشة، ويزداد الوضع حدّة بعد نموّ قوّة أخرى (الذّئاب) في المدينة إلى أن يعاد التّوازن من جديد فتتحرّر عائشة من القيود. إذًا فالوضع المتردّي لعائشة في القرية جعلها تخرج عن المألوف وتسعى إلى تعويض افتقارها برغبتها في الدّخول في وصلة بقيم العالم الآخر المتنافرة مع القيم الّتي تحملها. ومن هنا جاء إعجابها بالشّاب القادم من أوروبا، يحمل هذا الشّاب فعلا إغوائيّا مارسه، فأحدث تغييرا جذريا في الوضعيّة الاستراتيجيّة للفاعل الجماعي (كل أفراد المجتمع).

بيد أنّ الرّاوي/ الملاحظ لا يحدثنا عن مضمون المعرفة الجديدة المتّسمة بالغرابة والعذوبة والمصُوغة في ألفاظ غريبة. إنّ الفاعل الجماعيّ لا يكتفي بامتلاك هذه المعرفة فحسب، بل يسعى فضلا عن ذلك —في غياب قنوات التّواصل بين الرّجل والمرأة– إلى تبليغها بدوره إلى الفاعل (الفتيات والنّسوة). إنّ اتصال النّسوة بالمعرفة يشكّل —في حدّ ذاته– ممارسة ممنوعٍ يؤدّي خرقه تسليط عقوبة عليهنّ.

ويتمثّل الاختلاف بخصوص تلقّي هذه المعرفة بين الرّجل والمرأة في الإعجاب الّذي يبديه الفاعل الجماعيّ (الفتيات) وهو على الصّعيد التيمي (***Thymique***) شعور يبعث على السّرور والانشراح فتتحوّل البنية السّرديّة بإقرار حالة جديدة، تظهر تجلّياتها في برنامج سرديّ يحتلّ فيه الشّاب موقع الفاعل المنفّذ. ومنذ البداية يسعى إلى الدّخول في وصلة بالفاعل (عائشة) بالتّأثير فيها بنظرته وابتسامته والتّأرجح في مشيته، ولتحقيق فعله الإقناعي يسخّر مجموعة من القيم الإيجابيّة المفقودة في المجتمع ليقدّمها كبديل لمعاناتِها في القرية، والجدول الموالي يضبط المسارين، ويمكّننا من معاينة التّحوّل الأساسيّ الّذي يغذّي البنيّة السّرديّة:

المسار(1)	المسار(2)
-هي إذا كائن تافه لا مسؤولية له.(أ) -إنّها دولاب بشريّ تديره يد ذويها.(ب) -لا تتحرّك ولا تسكن إلاّ بإرادته ووفقا لرغباتهم. (ج) -لا تملك الحقّ في التّفكير.(د)	- وضّح لها حقوقها في الحياة.(أَ) - لم ينْسَ ذكر ما أعطاها القانون.(بَ) - من الحقوق والمحافظة على رغباتها. (جَ) -تعيش صحبته في عيش رغد محفوفة بالحرّية والحبّ والسّعادة (دَ)
العبوديّة	التّحرر

فتنتقل عائشة من وضع مضطرب يكرّس عبوديتها (أ، ب، ج، د)، إلى وضع قارّ تمارس فيه حرّيتها (أَ، بَ، جَ، دَ)، بناءً على هذه المعطيات أصبحت عائشة ممتلكة -على مستوى الكفاءة- لجهتي (إرادة الفعل/ و/وجوب الفعل) وسرعان ما يتحوّل سرورها —بهذه الوضعيّة الجديدة- إلى انقباض، لأنّ الفتى ما كاد يستولي على عفّتها، ويهتك عرضها، حتّى تركها وفرّ إلى أوروبا.

وتأسيسا على ما تقدّم فإنّ الشّكل المتمظهر في الحقوق والحريّة والحبّ والسّعادة يجري مجرى قناع مسخّر لقول شيء آخر غير التّحرّر؛ وهو عزم الشّاب على تحقيق رغبة جنسيّة تقوده إلى تحويل اللاّ ظاهر إلى ظاهر، فينتقل —بذلك — من وضعيّة باطلة إلى وضعيّة كاذبة (ظاهر+ كينونة)، تنخدع الفتاة لأنّها ترتكز على ظاهر يجعلها تعتقد أنّه مطابق للكينونة (***Etre***) ، فتضعه مباشرة في وضعيّة صادقة.

إنّ فرار الشّاب إلى أوروبا يجعلها تدرك أنّ كينونته لا تطابق ظاهرا سخّره لاغتصاب أنوثتها، فتقتنع اقتناعا كليّا بأنّه في وضعيّة كاذبة، فتجسّد هذه اللّحظة السّرديّة الوضع المتأزّم الّذي آلت إليه عائشة؛ فهي لا تستطيع أن تعود إلى فضائها العائليّ لأنّها اخترقت ممنوعا (الشّرف)؛ الّذي يمثّل قيمة أساسيّة في المجتمع الجزائريّ، وتعني عودتها الموت، كما أنّها فقدت علّة وجودها في المدينة ويظهر ذلك في هذا الملفوظ: «هامت الفتاة على وجهها في هذه المدينة المترامية الأطراف » فيدلّ الفعل هَامَ من النّاحية المعجميّة على الحيرة والتّحرّك بدون هدف ممّا يفضي إلى وضعيّة سرديّة تتحوّل فيها عائشة إلى موضوع تحرٍّ لذئاب بشريّة، والّتي اصطادتها في رمشة عين.

ثمّ يظهر برنامج سرديّ آخر تسعى من خلاله عائشة إلى سدّ الافتقار الّذي أحدثه المجتمع بإذلالها، والشّاب باغتصابه لأنوثتها، والذئاب البشريّة بدفعها إلى طريق الغواية، فتبدأ بالبحث عن عمل فتحصل على ذلك كخادمة في فندق، ثُمَّ تتوفّق في الاهتداء إلى زوج[17]، لتتحوّل الأمور من جديد إلى الاستقرار.

ليخلص الباحث —في الأخير- إلى أنّ المواقع الإستراتيجيّة للفاعل الجماعيّ (المجتمع) اهتزّت بفشله في تثبيت الفعل الوراثيّ من أجل المحافظة على نظام يقضي على كلّ ماله علاقة بترقيّة المرأة وحرّيتها، وحقّها في التفكير والكلام والوجود. كما أنّ هذه القيم قد انصهرت في موضوع تحرّي عائشة مشكّلةً خرقاً لقانون العائلة

الرّيفيّة والنّظام القيميّ التّقليديّ، ودعوة صريحة إلى ضرورة إحداث قطيعة جذريّة مع العالم المتخلّف، الّذي وضع المرأة في مرتبة دنيا في السّلّم الاجتماعيّ وقد سخّر قصّة عائشة باستثمار الماضي وتحيّين الحاضر لإقناع الأطراف الفاعلة في المجتمع بهذا الوضع الّذي آلت إليه، وأنّ السّبيل الوحيد لخلاصها منه وتحرّرها من قيوده وبناء مستقبل يكفل لها كرامتها الإنسانيّة؛ هو نضالها المستمرّ[18] والدّؤوب للخروج من هذا الوضع المزري إلى آفاق العيش الكريم في ظلّ حريّة التّفكير والكلام والتّعبير.

قراءة تقويميّة في الجانب التّطبيقيّ:

قبل البدء في تقييم هذه الدّراسة لفت انتباهنا عنونة تحليل المقطوعتين، حيث نجد الأوّل بهذا العنوان (الخطاب الموضوعي) أما الثانيّة فـ(الخطاب السّردي)، ورغم هذا الاختلاف في التّسمية والّذي –حتما– يقصده النّاقد، ربّما تأكيدا منه على اختلاف مضمون وطريقة التحليل، إلاّ أنّ مضمون التّحليل وطريقته كانتا واحدتين في المقطوعتين أو متشابهتين إلى حدِّ التّطابق. فَكِلاَ المقطوعتين قد اهتمت بالجانب الموضوعي أو المضموني بتعبير دقيق.

أما القضيّة الثّانيّة —في هذه الدّراسة أو القراءة– فهي مزاوجة الكاتب بين المنهجين؛ الاجتماعي أو البنيوية التكوينية –في أحسن الأحوال– والسيميائي الغريماسي، مما جعل بعض أجزاء الدراسة يقترب من السياق إلاّ أنّ النّاقد –وباحترافيّة كبيرة– يوهم قارئه باعتماده على المنهج السّيميائيّ لوحده، وذلك من خلال الرّصف المصطلحيّ الكبير لمصطلحات هذا العلم مثال (الفاعل/ برنامج سردي/ المسار الصّوريّ/تشكل خطابي...) ويمكن للقارئ العودة للكتاب لاكتشاف ذلك. كما استعان بالخطّاطات والجداول والمعادّلات الرّياضيّاتيّة، والمربّعات السّيميائيّة. فقراءته أو تحليله لهذا القصّة —كما أسلفنا الذكر– قد يبتعد في مواضع عدة عن مبدأ المحايثة الّذي أشار إليه في الجانب النّظري، اللّهم إلاّ في بعض الأحيان مثلما نجده في الصفحة ***83-84-85***. أمّا غير ذلك فالتحليل في معظمه شرح للنّص واستخراج لبعض القيّم الموجودة فيه؛ بالاعتماد على ما يوجد خارج إطار النّصّ (الجانب الاجتماعيّ من القصّة)، ولا يعتمد على تفجير دلالة النّصّ من لغته أو من داخله أو من تأويليته كما تؤكّد على ذلك السّيميائيّة.

وحتّى عندما يقدّم المربّع السيميائيّ يقدّمه فارغا من أيّة معطيات تُحيل إلى القصّة –مثلما فعل في الجانب النّظريّ– ودليلنا على ذلك أنّه وفي الجانب النّظريّ، وعند دراسته للمربّع السّيميائيّ جاء بمثال عن الدّورة الدّلاليّة للمحلّل والمحرّم في شهر رمضان والّذي أخذه عن (آن إينو) *، بالشّرح والأمثلة وتوضيح مكامن التّضاد والتّضمين والتّناقض، أمّا أثناء تحليله لقصّة عائشة فالمربّعات السّيميائيّة الّتي استخرجها من البنيّة العميقة للنصّ جاءت صمّاء[19]. وحتّى الشرح الّذي يعقب هذه المربّعات جاء –هو الآخر– غير كاف، بمعنى أنّ الباحث يحلّل للقارئ جهتين من جهات المربّع مثلا: (الثّابت والمتحوّل) ويترك (اللاّثابت واللاّمتحوّل. وقد ينطبق هذا على كلّ المربّعات الدلالية الّتي استخرجها أو استعملها. ومن جهة أخرى نجد –وفي بعض الأحيان فقط– أنّ شرحه للدّلالة

المستخرجة عن طريق المربّع غير متناسبة أو غير منسجمة مع معطيات المربّع المراد شرحه، أو أنّ اللّغة المستعملة في الشّرح لغة فلسفيّة عميقة لا يستطيع القارئ العادي التّعاطي معها، وحتّى القارئ الأكاديميّ يجد صعوبة كبيرة في فهمها.

وتأسيسا على ما سبق فقد وجدنا في هذا الكتاب اختلافا بيّنا بين جانبيه: النّظريّ والتّطبيقيّ، فجانبه النظريّ كان سخيّا بالمعطيات العلميّة والفلسفيّة لهذه النّظريّة وخاصّة عندما قدّم لنا الأصول الأولى لهذا العلم ونقصد الأصول اللّسانيّة والشّكلانيّة، أما جانبه التطبيقي فلم يلتزم بالمحايثة التي يدعو إليها التحليل السيميائي.

أمّا من حيث تحليل هذه القصّة من وجهة اجتماعيّة فقد وُفِّقَ الكاتب أيّما توفيق في إبراز معاناة المرأة الجزائريّة داخل مجتمع منغلق على نفسه في رؤيته للمرأة ومكانتها، وكيفيّة التّعاطي معها. فهذا المجتمع كرّس المرأة كقيمة ثابتة، وأذلّها وبَخَسَهَا حقوقها وفوق ذلك جهّلها، وأخرس كلمتها، ممّا أدّى بها إلى الثّورة في هذه القصّة للتّخلّص من هذه الوضعيّة المرضيّة الوبائيّة.

وعلى العموم فإنّ معظم الدّراسات النّقديّة الجزائريّة والعربيّة بشكل عام والّتي اهتمّت بالمقاربة السّرديّة تحت هذا المنحنى، فغالبا ما تبدأ بشقّ نظريّ محايث وتنتهي بآخر تطبيقيّ قريب إلى النّقد البنيويّ التكوينيّ، وأمثلة ذلك كثيرة ومتنوعة.

2- المقاربة السيميائية للمقامة:

حاول الباحث (إبراهيم صحراوي) أن يقارب شكلا من أشكال القص القديم في الأدب العربي ونعني بذلك المقامة، وهذه المحاولة موسومة بـ(المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، محاولة قراءة سيميائية)[20]. وبعد التقديم الذي نوه فيه على مضاعفة الجهود العربية سواء في مجال التأسيس أو الترجمة للنهوض بالدراسة السيميائية، شرع مباشرة في مقاربة النص، الذي قام بتقسيمه إلى قسمين، درس في القسم الأول التركيبة السردية أو النظام السردي العام للمقامة، أما القسم الثاني فدرس فيه بنية النص العميقة.

ولكي يسهل على الباحث الإلمام بنظام هذه المقامة قام بتقطيع النص إلى مقاطع سردية معتمدا في ذلك على تعريف (غريماس) للمقطع (***Séquence***) الذي يرى أنه: «وحدة محلية من الخطاب السردي، قابلة للعمل كقصة لكن يمكنها أن تندمج فيه كإحدى أقسامه المكونة ». وانطلاقا من هذا رصد الباحث خمسة مقاطع، تحددها بنية زمانية:

في المقطع الأول: يظهر عيس بن هشام (الشخصية)

- اشتهاءه لنوع جيد من التمر (اشتهيت الآزاد).
- حالة افتقار، والمتمثلة في خلو جيبه من النقود (ولم يكن معي عقد على نقد).

فمن البداية أشار الباحث إلى وجود علاقة انفصال مضاعفة:

- انفصال عن التمر «هـ^1» [هـ، ترمز إلى الهدف]

– انفصال عن النقود «هـ^2».

أم جملة: (فخرجت أنتهز محاله حتى أحلني الكرخ)، وقد تصور الباحث تنقلا أفقيا للبطل عيسى بن هشام ورمز له بـ «س^1»، بهذا التنقل يباشر «س^1» عملية قلب الوضعية المتمثلة حتى الآن في:

(س ^{1} ∪ هـ^1) [∪] علاقة الانفصال

(س^1 ∪ هـ^2) .إذن:

(هـ^1 ∪ هـ^2 ∪ هـ^2) [وهو الانفصال المضاعف لـ س^1].

في المقطع الأخير، لدينا –والكلام للباحث– إلى جانب س^1 شخصيتان جديدتان هما:

السوادي (س ^{2})، والشواء (س^3) ويتميز هذا المقطع بـ:

أ – الصدام بين س ^{2} ، س^3. هذا الأخير (س ^{3}) يطالب (س^2) بثمن الطعام يحتج (س ^{2}) بأنه كان مدعوا، فيتساءل (س^3)، (ومتى دعونك).

ب – اختفاء س^1، الذي يغادر المطعم بحجة البحث عن سقاء.

ج– دفع ثمن الطعام بقوة من قبل س ^{2} ، وهذا يبين أن هناك هدفا آخر هو الطعام ورمز له بـ هـ ^{3}، وهذا الهدف يختلف عن هـ^1 (الآزاد).

نتيجة المقطع الأول تحولت من علاقة فصل (***Disconjonction***) إلى علاقة وصل (***conjonction***) بين س^1 و هـ^3.

المقطع الثاني: المرور من هـ^1 إلى هـ^3، يتساءل الباحث كيف يتم هذا المرور من هـ^1، هـ^3.

بظهور شخصية الجديدة (س^1) (السوادي) أوجب على (س^1) (البطل) تخطي الامتحان التأهيلي [أي اكتساب الكفاءة ***Competence***] اللازمة لتحقيق النجاح في الامتحان الرئيسي (***Epreuve Principal***) لذلك فإن عناصر الكفاءة لدى س^1 هي:

الرغبة في الفعل ***Vouloir Faire*** + عدم القدرة على الفعل ***Non pouvoir Faire***.

الاشتهاء + خلو الجيب من المال

الملاحظ أن العنصر الأساسي المتوفر في الكفاءة هو الرغبة في الفعل، إلا أنها لا تكفي لعدم توفر القدرة وهي (النقود)، ولتجاوز س ^{1} هذه العقبة وجب عليه أن يظهر على خلاف ما هو عليه، أي اللجوء إلى الحيلة ليتمكن من ضحيته عن طريق إظهار صداقة، فسارع إلى إحكام القبضة على السوادي وذلك بأن سلم عليه وأعطاه اسما على الصدفة: (حياك الله أبا زيد)؛ وسرعان ما يتفاجأ س^2 لهذه التحية ليصحح الخطأ معلنا عن اسمه الحقيقي (لست بأبي زيد ولكنني أبو عبيد)، ليتظاهر س^1 بمعرفة أبيه: (وكيف حال أبيك، أشاب كعهدي...)، ثم إظهار اللوعة لدى العلم بخبر الوفاة: (لا حول ولا قوة إلا بالله، إن لله وإنا إليه راجعون)؛ ولإظهار اللوعة أكثر مدّ س^1 يده بسرعة إلى الصدار ليمزقه: (ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه)؛ وبهذه الحركة يريد س ^{1} أن يطمئن

س2 بصورة أكثر. لكن س2 رجاه ألا يفعل مبديا بلاهته وسرعة تصديقه وانطلاء الحيلة عليه.

ابتداءً من هذه اللحظة السردية يجهر س 1 رغبته في التمر (تحول على مستوى الهدف) ويقترح س 2 الذهاب إلى البيت لعلهما يصيبا غذاء أو إلى سوق يشتريان طعاما. وهذا إلى هـ 1 إلى هـ2 وهكذا تبدأ المقاطع المكونة للتركيبية السردية لقصنا في التفاعل فيما بينهم كقيم ثقافية.

يتحول الباحث إلى تبيان مختلف الوضعيات عن طريق (***Carré de Véridiction***)

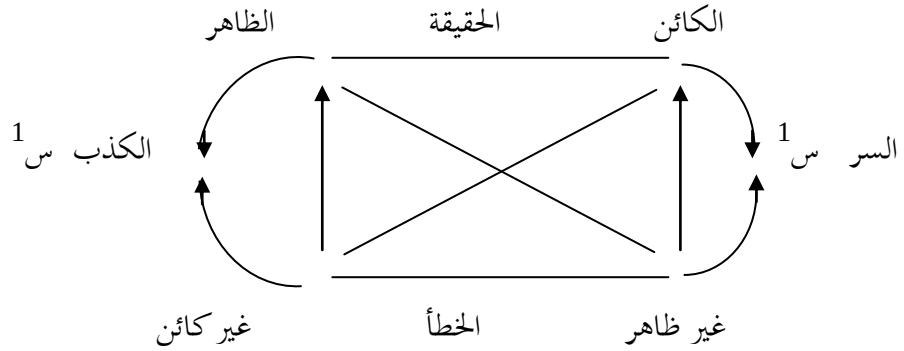

ليستخلص من هذا المربع أنّ س1 في جانب الكذب أو الخداع من خلال الصورة التي يرسمها لنفسه، لكنه يمرّ إلى السر لمآ يقترح على س2 الذهاب إلى البيت أو إلى السوق، أي أنّه دعا س2 إلى الأكل دون أن يكون لديه نقود. إذن تغير الهدف [هـ 1 آزاد إلى هـ2 طعام] مرتبط بتغير الوضعية [الظاهر– غير الظاهر]. لتظهر حقيقة س1 (اللص المحتال): يجب أن تزول صورة س1 الكريم، وهكذا يشهد المقطع الأخير انقلابا في المضامين، فبمغادرة س1 المطعم يتحطّم صرح الكذب وينكشف السر، فلا هوّ الصديق القديم لـ س 2 ولا لوالده، ولا هو كريم، إنّه مجرّد لصّ.

دراسة الشكل العاملي للقصة:(*Schéma Actantiel*):

أخذ هذه التقنية عن غريماس الذي أخذه بدوره عن (بروب وسيريو) [21]. فقد حاول غريماس جعل تقارب بين الأدوار (البنى الحركية) والوظائف النحوية في اللغة، بمعنى أنّ بنية القصّة وقواعد النحو (الوظائف)، هما جهتان لعملة واحدة هي الشكل العاملي ويتكون هذا الشكل من ستة عمال هم:

الدافع ***Destinateur***، الفاعل ***Sujet***، المستفيد ***Destinataire***، الهدف ***Objet***، المعارض ***Opposant***، المساعد ***Adjuvant***.

وسر العلاقة بين هذه الأدوار هو أنّ: الدافع أو المحفّز، يدفع (الفاعل) إلى القيام بعمل ما ينتج عن تحقيق هدف لفائدة (مستفيد) وقد يعين الفاعل على تحقيق الهدف (المساعد) وقد يعارضه في ذلك (المعارض) والجدير

بالملاحظة أنّ شخصية واحدة يمكنها القيام بدور واحد وبعدة أدوار، كما أنّ شخصيات متعددة يمكنها القيام بدور واحد، وليس من الضروري أن يكون العامل شخصية، وإنما هناك عوامل أخرى يمكنها القيام بأحد الأدوار العاملية كالقضاء والقدر، وحب الخير وغيرها؛ صوّرها لنا الباحث في هذا الشكل:

الدافع الفاعل المستفيد

22

المساعد الهدف المعارض

أما في المقامة فتظهر كالآتي:

- الدافع الرغبة (الاشتهاء)

- المستفيد عيسى بن هشام

- الفاعل عيسى بن هشام

- الهدف تمر (غداء)

أما المساعد والمعارض، فقد رأينا —والكلام للباحث– أنّ السوادي يمثّل أساسا وضعية العامل والمساعد رغم إظهار معارضة طفيفة لما أنكر الاسم الذي أطلقه عليه س [1]، وما عدا ذلك فقد كان مساعدا لا إراديا. أما في المقطع الأخير وبعد اختفاء س [1] أصبح س [2] في وضعيةالعامل المعارض وبشدّة. أمّا المساعد الحقيقي فهو س [2] (الشواء) لأنه لبّى كل طلبات س [1] وتركه يغادر المحل دون أن يطالبه بثمن الطعام والترسيمة الموالية تشرح ذلك:

الدافع الفاعل المستفيد

- الرغبة - عيسى بن هشام - عيسى بن هشام

- الفقر

المساعد الهدف المعارض

- السوادي - آزاد - السوادي

- غباء وطمع س2 عداء 23

قراءة في البنية العميقة: حاول في هذا القسم من الدراسة تحديد الواحدة المعنوية الأساسية (أو الوحدات) الموصلة للمعنى في هذه المقامة انطلاقا —ودائما– من غريماس الذي يعرفها بأنها «مجموعة من الأصناف المعنوية .... تتكرر أو تترادف في إطناب مهمتها التمكين من القراءة التفصيلية للنص، هذه الأصناف تساعد على توضيح الغرض أو المغزي من النص».

- الوحدة المعنوية الاساسية لهذه المقامة هي: «كيفية كسب المعيشة» وهي المسيطرة على النص.

أ- الحركة مقابل الجمود ⇐ تنقل البطل

ب- احتيال مقابل أمانة ⇐ حيلة البطل.

ج- الفائدة مقابل الخسارة ⇐ انتهازية البطل.

- الوحدة الميكانيكية: ولها تمثيلان:

أ - قبل انقلاب المضامين: يقدم لنا المكان (بغداد) مفتوحا قابلا لإحتواء الأعمال الحيزة والأعمال الشريرة لساكنيه وزائرية على السواء.

ب- بعد انقلاب المصامين: فكمامت التحويلات التي حدثت الأشخاص من المكان أيضا، فما كان مفتوحا غدا مغلقا بغداد الكرخ ← السوق ← الطعم. ←

فالنسبة ل س^{2}: المكان فاصل له عن محيطه، عن مجتمعه القروي، حيث الأسرقة ولاخداع ولا احتيال.

وبالانتماء س^{1} و س^{2}إلى عالمين قحتليفي يتعارض المكان مدينة/مع المكان/ قرية، العالم الحضري مع العالم الريفي ويمكن أن يحدد لنا هذا الجدول بعض المعنوية المميزة لـ س^{1}و س^{2}.

س^{1}	س^{2}
مدني	قروي
متيقن من نفسه	حائر/ مرتبك
ذكي	ساذج/ غبي
واع	غير واع
محتال	أمين
خداع	مغفل
متظاهر	أبله سريع التصديق/ طاع

المربع الدلالي: انطلاقا مما سبق وكتوصيلة أساسية للمعنى في هذه المقامة اقترح الباحث هذا المربع الدلالي: المسموح/ الممنوع.

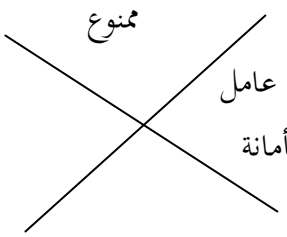

- السرقة، الاحتيال
- الخداع، الكذب
- الانتهازية

لا ممنوع	لا مسموح
– لا سرقة	استغلال عامل الوقت
– لا خداع	بطرق لا مشروعة
– لا احتيال	

لدينا برنامجين سرديين (ب س[1]) و(ب س[2]) وكل برنامج تقابله على المستوى العميق مجموعة من العمليات:

1– /مسموح/ – /لا مسموح/ نفي المسموح عن طريق نفي الإستقامة والأمانة وطرحهما جانبا

2– /لا مسموح/ – /ممنوع/ اختيار طريق اللاأخلاقي أي بتفضيل الحيلة والخداع واتخاذهما وسيلة لتحقيق رغبات ومصالح شخصية على حساب الآخرين

المغزى (مادة المضمون): ختمت المقامة ببيتين من الشعر برر فيهما البطل تصرفه مع السوادي بدعوى العمل على كسب المعيشة بأي وسيلة والإفادة من الوقت والقوة والقدرة، إلا أن البطل والكاتب ينفيان كل اختلاف بين القيم خيرة كانت أم شريرة؛ أما على مستوى الراوية الرئيسي يمكننا استخلاص المغزى الذي يتلخص في المثل الشائع أو المقولة السائرة (الغاية تبرر الوسيلة) ومن جهة أخرى تحذيرا وتنبيها، ويمكننا في هذا الصدد الاستشهاد في المثل الشعبي (الطمع يفسد الطبع).

ويتلخص المغزى الأخلاقي لهذه المقامة في شقين:

1 -العمل بكل الوسائل لكسب القوت.

2 -الحذر من الكذاب[24].

الهوامش:

1 – ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال نذكر: – تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان/ الدار البيضاء المغرب، 1985، ط.1. وكتاب: التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان/ الدار البيضاء المغرب، 1995. وكتاب: النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع (المدارس)، الدار البيضاء، المغرب، 2000. وكتاب: في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب، 1409 هـ – 1989 م. وكتاب دينامية النص، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، 1988.

2 – ومن مؤلفاته: الأدب والغرابة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1982. وكتاب: الحكاية والتأويل دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1984. وكتاب: الغائب، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1987. وكتب أخرى باللغة الفرنسية.

3– ومن كتبه: الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي) المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان، ط.1، 1991. وكتاب: الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991.

4- ترجم كتاب: أمبريطو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط.1، 2000. وله كتاب: السيميائية السردية(مدخل نظري)، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، الكتاب 29، 2001. ومقالات عديدة منها: السيميائيات وموضوعها، مجلة علامات، مكناس، المغرب، ع.16، أكتوبر،2001.

5 – ومن كتبه: سيميائية النص الأدبي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،1987.

6 – في كتابه: دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2007. كما نشر عديد المقالات في المجلات المتخصصة ومن ذلك: مقال (السيميائيات بين التوحد والتعدد)، مجلة الحوار الأكاديمي والجامعي، ع.2، فبراير 1988، السنة1، المغرب.

7 – في كتابه: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ،1987م.

8- ينظر: قادة عقاق، السيميائية السردية، ص.345.

9- Voir, A. J. Greimas, Sémantique structurale, P.U.F. Paris, 1966.

10- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص. 8.

[11]- ينظر: م. س. ص. ص. 20-21.

[12]- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية ص. ص .29-30.

[13] – ينظر: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة ص.72.

[14] – وللتفصيل أكثر في هذه المصطلحات ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص. ص.72- 73.

[15]- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، من الصفحة74 إلى الصفحة 77.

[16]- ينظر: م.س. ص.ص. 77-78.

[17]- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص. ص78 إلى 93.

[18]- ينظر: م.ن. ص.93.

[*] وحتى يتأكد القارئ من ذلك يمكن المقارنة بالعودة إلى المرجعين: – رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص15.- وآن إينو، مراهنات في دراسة الدلالات اللغوية، تر. أوديت بيتيت وخليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق، سوريا، 1401هـ. 1980م. من الصفحة 93 إلى الصفحة 124.

[19]- يمكن الرجوع إلى الصفحة 77 والصفحات 89. 90. 91.

20 – ينظر: إبراهيم صحراوي المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، محاولة قراءة سيميائية، مجلة آمال ص.5.

[21] – ينظر إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص.9.

22 – ينظر : إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص.ن.

23 – ينظر: إبراهيم صحراوي، المرجع نفسه، ص. 10.

24- قمنا في قراءة هذا العمل النقدي بالإعتماد على آراء الكاتب فحسب. وللمزيد من التفصيل ينظر: إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص.ص. 5- 13.